

٤ - التغييرات الاجتماعية والطبقية :

تناول الاستاذ هاني مندس، في هذا الفصل، التغييرات التي شهدتها فلسطين على الصعيد الاجتماعي كنتيجة لارتباط الاقتصاد المحلي بالسوق الرأسمالية العالمية خلال القرن التاسع عشر وما تبع ذلك من تشويه للانتاج المحلي وغلبة الطابع السلعي البضائعي عليه دون ان يترافق ذلك مع تطور وسائل الانتاج المحلية وعلاقاته التقليدية. ولاحظ الباحث ايضا متفقا في ذلك مع الباحثين الذين اعدوا الفصول السابقة من «التشكيلة الاجتماعية - الاقتصادية في فلسطين (وبلاد الشام) شهدت نوعا خاصا من التطور الذي شكل مرحلة انتقالية تميزت بتعدد وتعايش الانماط». وقد امتدت المرحلة الانتقالية الى فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، واتصفت اجمالا، بالتحويلات الاجتماعية - الاقتصادية البيئية والتفتت الانتاجي والتمحور حول مراكز انماط الانتاج الاكثر حداثة وتطورا وارتباطا بعلاقات السوق الرأسمالية العالمية. وكانت الانماط الرأسمالية المحلية والمختلفة تنبثق من الأشكال والانماط الاقتصادية ما قبل الرأسمالية وتعايش معها. فالعلاقات القطاعية العشائرية ونظام المشاع الذي كان سائدا في القرية الفلسطينية تفسخ لكنه لم ينته. وتبدلت الاوضاع الاجتماعية المختلفة بتأثير علاقات السوق الرأسمالية العالمية الا انها لم تتحول بشكل جذري. اي ان هذا التأثير كان سلبيا بحيث تشابكت العلاقات القطاعية وشبه القطاعية مع العلاقات الحرفية والتجارية وغيرها. ولم تفقد الفئات الاجتماعية الجديدة، من ملاك وتجار وفلاحين وحرفيين وعمال سمات الاصل الاجتماعي، القطاعي والفلاحي، الذي انحدرت منه، ولم تقطع صلاتها، نهائيا، بوسطها الاجتماعي السابق. وستكون لهذا النمط الخاص من التطور الاقتصادي - الاجتماعي، آثار بعيدة المدى على مجمل مسيرة العمل الوطني الفلسطيني ونضال الطبقة العاملة الفلسطينية بشكل خاص.

ولاحظ الباحث ايضا ان انماط الانتاج والعلاقات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لم تتفكك وتتخلل عن طريق تطور وسيطرة علاقات التجارة مع السوق الرأسمالية الغربية، لأن العنصر الحاسم في عملية تحللها يكمن في نمو وتطور علاقات الانتاج الرأسمالية في المدينة والريف. والملاحظ ان هذا التطور كان يتم باقصى درجات البطء وان الانتشار الواسع للانتاج السلعي لم يرافقه تلاشي النظام